السبيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء
المبارك • اللهم إنك عرفتنا بربوبيتك • وغرقتنا في بحار نعمتك • ودعوتنا إلى دار
قدسك • ونعمتنا بذكرك وأنسك • إلهي إن ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت • وبحار الغفلة
على قلوبنا قد طمت • فالعجز شامل • والحصر حاصل • والتسليم أسلم • وأنت بالحال أعلم
إلهي ما عصيناك جهلاً بعقابك • ولا تعرضاً لعذابك • ولكن سولت لنا نفوسنا • وأعانتها
شقوتنا • وغرنا سترك علينا • وأطمعنا في عفوك برك بنا • فالآن من عذابك من يستنقذنا
وبحبل من نعتصم إن قطعت حبلك عنا • واخجلتنا من الوقوف غداً بين يديك • وافضيحتنا
إذا عرضت أفعالنا القبيحة عليك • اللهم اغفر ما علمت • ولا تهتك ما سترت • إلهي إن
كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا رباً يغفر ولا يبالي • إلهي تحرق
بالنار وجهاً كان لك مصلياً • ولساناً كان لك ذاكراً وداعياً • لا بالذي دلنا عليك • ورغبنا
فيما لديك • وأمرنا بالخضوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك • وسيد
أصفيائك • فإن حقه علينا أعظم الحقوق • بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف منازل
خلقك صل على محمد وعلى آله • وارحم عباداً أغرهم طول إمهالك • وأطمعهم فيك كثرة
إفضالك • وذلوا لعزك وجلالك • ومدوا أكفهم لطلب نوالك • ولولا هدايتك
لم يصلوا إلى ذلك • اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين آمين • وصلى الله على محمد وآله •

الباب الثامن
والسبعون في القضاء والقدر
وأحكامهما والتوكل على الله عز وجل

اعلم أن كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وإيمان وكفر وطاعة
ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه
ورجليه ولا تطرف بعوضة ولا تسقط من ورقة إلا بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته كما لا
يجري شيء من ذلك إلا وقد سبق علمه به واعلم أن كل ما قضاه الله وقدره فهو كائن لا
محالة كما أن ما في علم الله تعالى أنه يكون فهو كائن فرب أمر قدره الله ووصوله إليك بغير طلب
فهو واصل ورب أمر قدره الله ووصوله إليك بعد الطلب فهو لا يصل إلا بالطلب والطلب
أيضاً من القدر فإن تعسر شيء فبتقديره وإن اتفق شيء فبتيسيره فمن رام أمراً من الأمور
فليس الطريق في تحصيله أن يغلق بابه عليه ويفوض أمره إلى ربه وينتظر حصول ذلك الأمر
بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله له فيه وقد ظاهر النبي صلى الله
عليه وسلم فيه بين درعين واتخذ خندقاً حول المدينة يحترس به من العدو وأقام الرماة
يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويعبي الجيوش ويأمرهم

ونهاهم

ونهاهم عما فيه مصالحهم واسترقى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالمداواة وقال
عليه السلام أنزل الداء الذي أنزل الدواء • فإن قيل قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من استرقى واكتوى فقد برئ من التوكل قلنا أليس قد قال عليه السلام اعقلها وتوكل
فإن قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متوكلاً على الرقية والكي وأن
البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل وإنما يفعله كافر يضيف الحوادث إلى غير الله تعالى
وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى أن الله تعالى قال لمريم عليها السلام وهزي إليك بجذع
النخلة فهلا أمرها بالسكون ثم حمل الرطب إلى فمها • وأنشدوا في ذلك

سعر

ألم تر أن الله قال لمريم • وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها • جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً فلم تحمل أرزاقها
إليها في أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين القدر والطلب وقالوا
إنهما كالعدلين على ظهر الدابة إن حمل في واحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله وتعب
ظهره وثقل عليه سفره وإن عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت نعمته وضربوا
فيه مثلاً عجيباً فقالوا إن أعمى ومقعداً كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للأعمى ولا حامل
للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم قوتهما احتساباً بالله تعالى فلم يزل متعهداً إلى أن
هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياماً فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فأجمع رأيهما
على أن يحمل الأعمى المقعد فيدله على الطريق ببصره فاستقل الأعمى بحمل المقعد ويدوره وهو
يرشده إلى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا
فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى
أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته ولم يطأ زوجته ولا يبذر أرضه معتمداً في ذلك
على الله تعالى واثقاً به أن تلد امرأته من غير مواقعة وتنبت أرضه الزرع من غير بذر
كان عن المعقول خارجاً ولأمر الله تاركاً • وقال الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله أما العبد
فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم وقد
ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئاً
وقال عليه السلام أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً • وقال عبد الله بن الفرج
رحمه الله اطلعت على إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو في بستان بالشام مستلقياً على
قفاه وإذا حية في فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدي

Copyright © King Saud University